لتصيغ موقفاً مرناً تجاه م.ت.ف. كخطوة موازية للتقارب مع واشنطن.

ومهما يكن الامر، بدأ العام ١٩٨٧ بتساؤلات، هنا وهناك، لها طعم المرارة الملازم، بالضرورة، للنظام العربي: اذ كيف يمكن ان نتصور، لحظة واحدة، ان الولايات المتحدة ستتعامل، برفق وحنان، مع حكومات، معظمها خائف على ذاته من ذاته، ويرى في التبعية للخارج، في معظم الاحيان، افضل ضمان لاستمراره ؟ أَلَم نر محاولات «الصف الواحد» و«التضامن» و«التكامل» و«الدفاع المشترك» تتآكل بسرعة بعد اعلان ولادتها ؟ أَلَم نسمع الشتائم بعد انتهاء قمّة عمّان الطارئة، قمة «الوفاق والاتفاق» ؟ أَلَم نر، في قمة الجزائر، غير حكم عربي يتنافس على قطف ثمار الانتفاضة الشعبية في الداخل الفلسطيني ؟

كان من الممكن، طبعاً، التوقف عند هذه الفرضية القانطة، فرضية ان النظام العربي محكوم بالتوتر الدائم. ولكن اللعبة توقفت لمجرّد ان لاعباً، أو آخر، رأى انها ليست لعبته المفضلة. من هنا كانت ضرورة التحرّي في الوسائل التي أدّت الى منع دينامية النظام من التحوّل الى لعبة محصولها صِفْري، والبحث في سبل تدرّجية نحو لعبة أخرى، بما في ذلك استغلال ما هو متاح. أَوَليست السياسة، في الاساس، استغلالاً لما هو متاح ؟

لا بد من التذكير، في تحديد ملامح صورة النظام العربي الماثلة لأعيننا، حقيقة خفوت الاصوات الداعية الى عقد قمة عادية، او طارئة، بعد قمة فاس الثانية، باستثناء صوت م.ت.ف. ولفترة امتدت ربما أربعة أعوام تخللتها تجربة فاشلة لعقد قمة طارئة في الدار البيضاء. وفوق ذلك، تدل متابعة أعمال قمّة عمّان الطارئة، والاتصالات التي سبقتها، على ان أسلوب المساومة لم يمتد الاّ بدرجة محدودة الى قضية النزاع العربي ـ الاسرائيلي، التي كانت حاضرة على هامش هذه القمة لأول مرة في تاريخ مؤتمرات القمة العربية. وعليه، شهدت صياغة القسم الخاص بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، في بيان قمّة عمّان، خلافاً ثلاثي الابعاد حول النص على مشاركة م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في المؤتمر الدولي على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى. وعلى الرغم من ان النسخة العربية تضمّنت هذا النص ـ دون النسخة الانكليزية ـ فقد استمر الجدل بشأنه بعد انتهاء القمة حول المقصود بتعبير «على قدم المساواة». لكن البيان الختامي لم يحدّد أي صيغة للمؤتمر الدولي تلك التي قصدها، هل هي صيغة المؤتمر ـ المظلة للمفاوضات المباشرة، أم صيغة المؤتمر كامل الصلاحية الذي يملك حق التحكيم بين الأطراف المتنازعة ؟

كانت دلالات الخبرة المعاصرة، تعني انه يجب ان ننظر بتحفظ شديد ممزوج بريبة حقيقية الى كل ما قيل عن ان قمة عمّان قد عكست روحاً جديدة ونموذجاً جديداً لتسوية النزاع مع اسرائيل. ففي السياق ذاته، بدت قمّة عمّان محاولة عادية عرفت الخبرة العربية المعاصرة محاولات أقوى وأعمق منها بكثير لتسوية، أو حتى تهدئة، ذلك النزاع، وآلت جميعها الى المآل عينه، من حيث تلاشي آثار هذه المحاولات، بعد وقت وآخر، لتبرز، من جديد، ظاهرة الصراعات العربية ـ العربية.

وكلنا يدرك، اننا، الآن، في مرحلة انتقال من «الحرب العربية الباردة» ـ حسب عنوان كتاب مالكولم كير الشهير ـ الى مرحلة الوفاق العربي الجديد، أي الانتقال من حالة الصراع غير المقنّن والعشوائي المتأجّج، الى الصراع المقنّن، بحد أدنى من التفاهم والاتفاق على القيود والضوابط. لقد امتازت المرحلة السابقة، ربّما بانقطاع كلّي في قنوات الاتصال، وتغليب التناقضات والتناحرات العربية، وبسيطرة التصوّرات والاوهام، أو بتحكّم في السياسات والقرارات العربية، وتأجج الحروب